DESIGN BY | MAHMOUD OZIL

قصة قصيرة

همهمات

هاجر حلمي فضة

الكاتبة

هاجر حِلمي فضة

الإهداء

إهـــدي القصـــة لبطلتهـــا وملهمتـــي المجهولـــة فـــي الحبكـــة، ءأمـــل أن تغفـــر لـــي خيـــالي الجـــامح بالســـرد وأن يشـــفي هـــذا العمـــل القليل من عليل قلبها المتألم.

خرجت دلال من المنزل بخطوات ثابتة جامدة تخلو من المرح والحياة الملائمان لعمرها فهي بنت الرابعة والعشرين تسير بدربها مقفهرة الوجه عابسة كمن يحمل على عاتقه جبال ذنوب وتخطو قدماه درب جهنم - أعاذنا الله منها وإياكم- من يراها يشعر وكأن الخمسين من عمرها يخطف منها شبابها وهي مستسلمة لا تحاول التشبث، ترى هي نظرات الجميع لها عبئًا ولا تكترث، تمضي قدمًا محاولة جمع شتاتها وتركيز كل قوتها وطاقتها على ذاك اليوم الذي تنتظره وتعد له منذ عام كامل ٣٦٥ ليلة لا ينال النوم من عينيها مناله قبل أن تخطط في خيالها سيناريو جديدًا لذاك اليوم حتى أتى وهي لازالت لا تعرف كيف تُفيه حقه؟ كيف لا تضيعه عبثًا؟ أقسمت يومًا ألا تنسى، أقسمت يومًا أن تقتص لذاك الألم من منبته وتقتلعة، تُذكِّر نفسها مرارًا وتعيد الذكريات حتى تجدد القسوة والجفاء بأوصالها فقط تريد أن تخرج تلك اللبؤة الثائرة من سجنها وتطلق سراحها اليوم.

"اليوم ٢٥-٥-٢٠٢٥"

تكريمها اليوم كأفضل مُعلمة من مُعلمات حديثي التخرج بوزارة التربية والتعليم بحضور رئيس الجمهورية/ عبد الفتاح السيسي، رهبة عارمة تتجدد بأوصالها كلما تردد على مسامعها تلك الكلمات البسيطة ولكن لا وقت للرهبة اليوم، اليوم يوم القصاص، هكذا أسرَّتها دلال وهدهدت نفسها وتخبطها فلن تبرح ذاك المسرح العريض وتترك شاشات التلفزيون التى تُعلن الحدث مُباشر حتى تثأر، تزيل عن عاتقها ذاك القسم...

وصلت دلال لقاعة الاحتفال الداخلية غير عابئة بتلك الجلبة المحيطة بها لتأخر وصولها ووصولها على موعد تكريمها مُباشرة، شملت الجميع بنظرة مودعة وبأعين دامعة ثم مسحت عبرتها وربطت على قلبها وردَّدت بنفسها أن تلك الخطوة أكثر خطواتها صواب مهما بلغ الأمر صعوبة عليها، صعدت درجات المسرح بتثاقل، ومقدم الحفل يعلن عن اسمها كأفضل مُدرسي العام من حديثي التخرج واستلمت وسام الشرف وشهادة تُعزز حاملها أينما وضعت مع السلامات المعتادة في تلك المواقف ولكنها توقفت أمامه تنظر له بنظرة باردة تخفي بين طياتها الكثير من التوتر

والرهبة، وقفت ولم تمضِ قدمًا لتأتي تابعتها للتكريم، فتقدم سيادته لها بالسؤال: أأقدر أن أساعدك بشيء؟ أتحتاجين شيئًا؟

فهمَّت بالرد قائلة: فقط أطلب منك الإذن لسماعي قليلًا ولتسمح لي بالخروج عن مضمون الحفل لعشر دقائق فقط.

فأجابها متبسمًا: لكِ ما طلبتِ وإن أطَلْتِ فلكِ مني العذر ولكن لا تهدري الوقت هباءً.

فقالت فقط أريد عرض فيديو على البروجيكتور فاذا أمكن المهندس المسؤل عن ذلك يأتي ليأخذ تلك الفلاشة ويعرضها لنا لتصل لكل بيوت العالم ولكل من يرانا ويحضرنا الآن.

تقدم أحد الواقفين خلف الستار بعد أن أشار له سيادته وأخذ فلاشتها ليقوم بما طلبته الآن على مضدد وهو يحمل الكثير من التوتر من تلك المفاجأة التي لم تكن بالحسبان.

أظلمت القاعة إلا من انبعاث ضوء بسيط حين ذلك، همست دلال بين جنباتها بأن ذلك الوقت المناسب للقصاص بعد قليل ستنفجر تلك القنبلة التي تعدها منذ عام؛ لتنفذ قسمها وتثأر وتنام نومًا هادئًا لا قلقًا فيه ولا صحوًا بنوبات هلع.

داخل قاعة الاحتفالات

ظهر فيديو مدته ١٠ ثواني لفتاة بسيطة يبدو من ملابسها أنها من الطبقة المتوسطة ترتدي ملابس سوداء محتشمة وحجاب أحمر طويل يلتف حول وجهها الخمري الذي يتخلله بقعة كبيرة سوداء تستقر من فوق حاجبها حتى بداية فمها ويعتلي وجنتها اليمنى زائدة لحمية كبيرة تبتسم للمرآة وترفع أصابعها بعلامة النصر وتهمس بكلمات لم تصل لمسامع الموجودين بالقاعة.

قالت دلال وهي تشير حيث الفتاة بالفيديو:

كَتَبَت بإحدى الصفحات الجافة "ربيع العمر يجتاحني ولا أريد أن أهدره في خوف وانطوائية؛ لا أريد أن تصبح جدران غرفتي هي كل ذكرياتي بل أريد أن أصبغها بالكثير من الذكريات والصور التذكارية."

أغلقت المذكرة بيدها ثم قالت:

كَتَبَت تلك الكلمات بعناية قبل أن تتقدم إلى العمل في إحدى شركات الملابس المعروفة للتوظيف في قسم الحسابات

كانت تملؤها الرهبة وتخشى الرفض، ترتعب من نظرات الجميع لها؛ لذلك فضَّلت غرفتها وعزلتها ولم يكن لها أصدقاء على مدار عمرها سوى صديقة واحدة تلك الوحيدة التي تقبلتها بما هي عليه ولم ترَ منها نظرات الرفض ولا حتى الإشفاق، حدثتها لتستمد منها بعض القوة والشجاعة لتتخطى تلك المقابلة التي يتوقف عليها قبولها بالعمل أو رفضه.

ظهر الفيديو التابع له تظهر فيه نفس الفتاة تجلس على أحد المكاتب بحزن تمارس عملهابجوار ثلاث مكاتب أُخَر، ولكن الثلاث فتيات الأخريات يتجمعان على مكتب واحد يتهمهمان ويضحكان ويلتقطان لها العديد من الصور وهي تقابل كل ذلك بتبلد وتجاهل واضح.

علقت دلال على ذلك الفيديو قائلة:

كانت داليا تجلس بحزن على إحدى المكاتب تمارس عملها بروتين وملل رغم حبها للرياضيات والمحاسبة وقبولها للعمل بسبب ملفها المتميز بالكثير من الامتيازات والتفوق إلا أن رفقاء العمل بتلك الشركة اللعينة جعلوا من أحب الأشياء لها جمرًا يذيب شغاف قلبها ويسترق دقاته.

تأتي كل يوم إلى العمل بتحدي ورغبة عارمة في الخروج من قوقعة الانطوائية للاجتماعية والحياة، لتحيا وتعيش عمرها الفعلي فهي ذات الثالثة والعشرين من عمرها لتعود للمنزل وهي خاوية منهكة كالجثة الهامدة لا روح فيها ولا حياة فقط الألم يجتاحها، تعود من العمل كل يوم

ترتمي على سريرها لتحتضنها جدران غرفتها المتألمة لحالها، تبدل ملابسها وتجلس لتتذكر كل ما عانته على مدار اليوم من نظرات وهمسات وكلمات، تتذكر وتتألم وتنكسر أكثر وأكثر ولا تتكلم لا تهمس حتى بداخلها الصمت يلازمها كما يلازمها الألم، يتبعاها حيثما ذهبت فأين المفر؟

أتفر من جسد إلى جسد آخر؟

أتفر من نفس إلى نفس أخرى؟

أتفر من رفات قلبها المتهشم إلى آخر فلاذي؟

ثم فتحت المذكرة بيدها وقالت بعد مرور شهرين على سابقة خاطرتها كتبت هنا... وقالت الأخيرة وهي ترفع مذكرة شخصية بين يديها ثم قرأت:

"أين المفر؟

أين يفر المرء بفؤاده عندما تضيق بهِ الدنيا وما رحبت حتى أضلعهِ لم تعد سكناه؟ أين يفر المرء بنفسه عندما تحاصره الهمهمات؟ أين يفر لين القلب هين القول عندما يحاصره الجفاة والقاسية قلوبهم؟"

كان الفيديو الثالث كسابقيه ١٠ ثواني لنفس الفتاة بملابس رثة وشعر مشعث وغير هندام في هيئته، تنظر إلى لا شيء وتتحدث بكلمات غير مسموعة على من في القاعة؛ لأن العرض صامت ولكن الجميع يراها تارة

تضحك وتارة تتجهم ملامحها وتحتد وفجأة أظلمت الشاشة عند الثانية السابعة

فقالت دلال: الفيديو كسابقيه ١٠ ثواني ولكن الثلث الأخير من المقطع هنا ظلام، ديجور عظيم سيطر عليها، طَمَسَ الحق وأعلى الباطل، أمات الصالح وأحيا الطالح.

ثم فتحت المذكرة بيدها وأدارتها تجاه الحضور والشاشات وهي تقلب صفحاتها بسرعة قائلة:

لمدة أربعة أشهر عن خاطرتها السابقة، لم تكتب شيئًا سوى خطوط مبعثرة عرجاء وكأنها للتو بدأت تتعلم كيف تمسك القلم، وبعد أربعة أشهر صفحات بيضاء خاوية كالصحراء، لم تكتب شيئًا لم يعد عقلها بمحله أصبحت ترى الهمهمات بالجوار، ترى الجميع يسخر منها، ترى ما لا وجود له يؤلمها، أصبحت فتاة الثالثة والعشرين التى تريد أن تغتنم ريعان شبابها مريضة انفصام منفصلة عن عالمها الواقعي وتعيش مع ألمها وحده فباتت ترى والديها يهجمان عليها لقتلها فبادرت هي بالهجوم عليهم بإحدى المرات بالسكينة لتسبق هي وتقتلهم، ومرات أخرى تجلس دائمًا في ظلام خوفًا ممن تراهم يلتقطون لها الصور ويسخرون منها ويجعلونها مُسخه بينهم خوفًا من همهمات الناس التي تقتحم أذنيها رغمًا عنها..

ثم أغلقت المذكرة بيدها قائلة بعدما ذهبتُ لبيت صديقتي المقربة يوم وفاتها ووجدت مذكرتها بين يدا والدتها المنهمرة في البكاء ويقتلها الحسرة على صغيرتها وقرأت ما بهِ لم أستوعب الأمر جيدًا فذهبت لمقر عملها لأتفقد الأمر وأحاول التقرب والمعرفة أكثر بما فاتني عنها في تلك الفترة التي انشغلنا بها بأعملنا عما يُحتمه علينا واجب الصداقة..

قال لي أحدهم هناك " كانت هاشة رقيقة تجلس دائمًا صامتة حزينة فرغبت في معرفة سبب حزنها، فتقربت أكثر منها ومن دائرة أصدقائها في العمل ظنًا مني أنهم الأقرب لها وحيثما وجدت مواقع التواصل الاجتماعي لهم وجدت عليه الكثير من المنشورات الهزلية بسخافة عليها وجدتهم يلتقطون لها العديد من الصور بأوضاع غير منمقة ويتعمدون فيها إظهارها بأبشع الطرق ويستخفون بها ولم يكتفوا بهذا فقط بل كانوا يشاركونها على موقعها الخاص؛ لترى هي كل هذا بشكل يومي ومتكرر، حين رأيت كل هذا ثارت الدماء بعروقي وشعرت إنني أريد أن أتدخل وأدافع عن تلك المسكينة، فكتبت لهم على أحد المنشورات أن " ذاك تنمرًا وليس مضحكًا لا هزل فيه وإنما إنعدام للأخلاق والذوق العام والدين." فأخذت إحداهما ما كَتَبت وجعلته ساخرًا وأطلقت الكثير من الألقاب السخيفة التي تشوبها الكثير عن علاقتنا السرية، فلم أهتم لهم وكنت قد قررت الدفاع عنها والهجوم عليهم في أي منشوهر كهذا إلى أن رأيتها في اليوم التالي بأعين دامعة ولم ترفع نظرها لي إطلاقًا، فشعرت إني قد قاسمتهم

الذنب وتشاركت معهم في ذبحها حينما قررت الدفاع عنها وكأنها متهمة بقضية ما أو يتخلل خُلُقها أمرًا ما وعزمت الصمت وقتها حتى لا أجرح مشاعرها وبعد عدة أيام علمت أنها أخذت إجازة ولم أرها قط فيما بعد."

ثم تابعت دلال قائلة:

الفيديو الأخير لن يكمل العشر ثواني كسابقية وفقط أردت أن أعرض فيه بعض مما مرت به صديقتي المقربة من تنمرٍ لم يكن على زائدتها اللحمية ولكن وصل حتى لاسمها واجتهادها بعملها..!

أي عقل هذا الذي يستهزأ بصنيع الخالق الجبار؟ أي جمال هذا الذي يفوق صنيع الجميل الذي لا يخلق إلا كل جميل -سبحان الله-؟

فقد قال الله ﷻ في كتابة الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

[لقمان: 11]

أيسخرون من خَلقِها ولا يسخرون من خُلقِهم!

لقد نسوا قول الله تعالى في [سورة الحجرات 11]:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

صمتت دلال ثم أشارت لشاشة العرض لتظهر بعض لقطات الشاشة من مواقع التواصل الاجتماعي لأشخاص حقيقة تظهر أسماؤهم وصورهم تعرض بعض لقطات تحمل تعليقات ساخرة على داليا مثل:

"الباش محاسبة مدالية هانم بعد تكرمها هاهاها"

"نكتة النهاردة خمار وكأن الوحمة مش كفاية لبشاعة منظرها"

" شاهد قبل الحذف دبة تحاول تسلق المكتب"

"فستان أزرق وحزام أحمر علبة كنز متحركة معنا في المكتب" ... إلخ

كانت تلك العبارات السخيفة مصحوبة بالكثير من صور داليا الواضح جدًا أنها أُلتقطت دون إذن صاحبها والكثير من صور الكوميك والاستعراضات عديمة الإنسانية بتلك الصور معروضة في تعليقات تلك المنشورات...

تنهدت دلال بتوتر وحزن وأمسكت أحد الميكروفونات ورفعت عينيها المتلألئة بالدموع قائلة:

رتَّبتُ الكثير والكثير من الكلمات ورصصت الكثير من الجمل وسردت الكثير بعنفوان وأخرى ثورة عارمة لتلك اللحظات كتبتُ يومًا:

"الكلمة كخنجر الروح إما أن تستأصل الحزن من القلب، وإما أن تبتر قطعة من النفس، الروح أمانة الله لنا؛ فلا تجعل كلماتك إلا لاستئصال الأحزان."

فشعرت أنها لا تناسب اليوم وأحتاج المزيد

فأتبعتها بأخرى.

"للكلمة قدرٌ يتأرجح بين المتلقيان، فَزِن قدر أحرفك قبل أن تلقيها يمينًا أو يسارًا."

ولما تجددت طيف تلك اللحظة وجدت دمائي تثور وتثرثر بالقليل فكان كالآتي:

"بعض الكلمات داء ما إن تلقيها فتصيبك عدواها وبعض الكلمات دواء ما إن تلفظها فتطيب بها نفسك ولو بعد حين، فأحرص على أن تكون كلماتك دواء لا داء."

والآن بعد ٣٦٥ ليلة و٣٦٥ خاطرة تنبع من سكون الخنجر بوتين القلب وكأنه غمده الثمين، يسيطر على ذهني موقف الحسين ﷺ وأرضاه حين أرسل إليه الوليد حاكم المدينة المنورة يطلب منه مبايعة يزيد الأموي فقال له الوليد: "نحن لا نطلب منك سوى كلمه فلتقل بايعت ثم انصرف إلى جموع الفقراء، فلتقلها وانصرف يا ابن رسول الله حقنًا للدماء فلتقلها ما أيسرها إن هي إلا كلمة."

فرد عليه أبا عبد الله الحسين عليه السلام (كبرت الكلمة وهل البيعة إلا كلمة، ما دين المرء سوى كلمة، ما شرف الرجل سوى كلمة، ما شرف الله سوى كلمة، أتعرف ما معنى الكلمة، مفتاح الجنة في كلمة، دخول النار على كلمة وقضاء الله هو الكلمة، للكلمة لو تعرف حرمة، زاد مزخور، الكلمة نور، وبعض الكلمات قبور ، بعض الكلمات قلاع شامخة يعتصم بها النبل البشري ،الكلمة فرقان، ما بين نبي وبغي، بالكلمة تنكشف الغمة، الكلمة نور ودليل تتبعه الأمة، عيسى ما كان سوى كلمة أضاء الدنيا بالكلمات وعلمه الصيادين فساروا يهدون العالم، الكلمة زلزلة الظالم، الكلمة حزب الحرية، إن الكلمة مسؤولية، إن الرجل هو الكلمة، شرف الرجل هو الكلمة، شرف الله هو الكلمة، ولا رد لي لمن لا يعرف معنى الكلمة.)

لن أشعر بفرحة تكريم وثمرة جهدي إلا إذا شعرت إني أصلحت أمرًا ما، منذ أسبوع مضى كانت الذكرى السنوية الأولى لوفاة صديقتي المقربة،

مرت سنة ومازلت أعزي روحي بغيابها والألم ينخر عظامي ويؤرق مضجعي، توفت نتيجة "كلمة"؛ كيف لا نعرف قدر الكلمة؟ كيف لأمة المسلمين أن يفقدوا الاخلاق ونحن على دين الأخلاق (كل الأديان تتفق على الأخلاق)، فضلًا يا سيادة الرئيس أريد القصاص أريد القصاص لصديقتي المقربة، أريد القصاص لها فأنا الآن أتألم وهي ترقد هناك بسلام؛ أريد القصاص لعلِّي أرتاح قليلًا..

خَتمت كلمتها والعبرات تفيض من مُقلتيها.

فأجابها سيادته بتأثر وبحة الشجن تملأ حلقه:

حسنًا وبماذا تريدين القصاص؟

بالكاد صوتها يخرج متحشرجًا ومن بين دموعها قالت:

أحيي الأخلاق، أحيي الدين فلا دين دون خُلق مهما اختلف الأديان لكن جميعها ائتلف الخُلق ركن اساسي لها، زد على تشريعاتنا وجرائمنا المعروفة الجرم النفسي، الإيذاء النفسي أشد ألمًا من الإيذاء الجسدي، بالإيذاء الجسدي (جنايات، جنح،...إلخ) ستواجه شخصًا آخرًا معركة معلومة الأطراف محتومة المصير محدودة الألم، بينما الإيذاء النفسي تَشتُّت حرب ثلاثية الأطراف تحارب فيها خصمك وعقلك، حرب يتركك

فيها عقلك ويصبح خصمك، أي عذاب هذا الذي تحارب فيه ديجور نفسك هكذا؟ كيف لا يُشرَّع هذا جُرمًا!

أوضحت أمرًا يخصني من باب القصر والأمر متروك لسيادتك للاهتمام والحصر.

فأجابها سيادته:

البقاء لله وحده، سبحان الله الذي جعل الموت علينا حتمًا محتومًا، يأخذ منا أهلنا وأعزائنا، كل يوم لنا فقيد عزيز على قلوبنا، لكنّه لا يغلى على مالك الملك ذي الجلال والإكرام..

اللهم اغفر لها وارحمها وأنر قبرها ويرزُقكِ الصبر على فراقها أنتِ ووالديها اللهم آمين قرار جمهوري بعقد جلسة لمجلس النواب للنظر في الأمر مع تواجد المختصين النفسين والبث في ذلك الأمر وتعديل التشريع القانوني ليصبح الإيذاء النفسي جُرمًا يحاسب عليه القانون كالإيذاء الجسدي ومن ثم عرض الأمر علينا للمراجعة والموافقة عليه، ءأمل يا بنيتي أن يشفي قراري صدرك، يطيب خاطرك ويضمد جراح والديها.

همهمات

تأليف/ هاجر حلمي
01016415645

تصحيح وتدقيق/ محمود "غيث الدرعمي"
01011990680

تصميم غلاف/ محمود أوزيل
01554095332

تنسيق داخلي وتوزيع/ أحمد كِشك
01062359462

جميع الحقوق محفوظة © 2022م.